# إعادة تأهيل الثقافة
# في فلسفة سياسية جديدة

**بقلم: جوليا كريستيفا*[1]**

**ترجمة وتقديم: سعاد حمداش - الجزائر**

## تمهيد*:

تشكّل الثقافة وضعا حسّاسا في الوسط الفكري بمجمل أصوله الاجتماعية، السياسية والاقتصادية، خاصة وأنّ الفرد يعمل على تقنين التواصل العقلاني الذي يخدم وضعيات الراهن المتنوعة، وذلك من أجل فهم مقبول لعلائقية الأصالة والمعاصرة، باعتبار أنّ الفرد يتشكّل من خلال التراث، الذي لا ينفصل عن هويتنا المتنامية في النسق الحداثي، إذ بزحزحة الماضي عن الحاضر أو العكس تطفو الأزمة الثقافية وينجم عنها تخلف في الرؤية التنظيمية للمجتمعات، وبالتالي تزوير في الرؤية إلى إقامة دولة على كاهل ثقافي متمدّن.

يعيش نبط المجتمع الحديث على حسّ عقلانية النظر من خلال استلزام المراجعة الدائمة لما يحيط بالفرد والمجتمع، إذ يتمّ ذلك من خلال التكتّل الثقافي الذي يخلقه المفكرون، باعتبارهم النخبة الأساس في ترقية الفرد نفسه وعليه الهيكل الاجتماعي من أجل حضارات متمدنة. هذا هو الذي تسميه جوليا كريستيفا بالنموذج الآخر في إعادة تأهيل التجربة الثقافية والدعوة إلى التعدّد والتنوّع الثقافي المتبادل.

---

*محللة نفسانية وكاتبة، مقررا لرأي اللجنة الاقتصادية والاجتماعية والبيئية (CESE): الرسالة الثقافية لفرنسا والتبادل الثقافي للفرانكفونية، مقال منشور في صحيفة Le Figaro يوم 3 أغسطس 2009 على الموقع الموالي:

* من وضع مترجم المقال

وباعتبار أنّ موضوع الأزمة الثقافية موضوع متناول بوفرة منذ بدايات الفكر الفلسفي إلى يومنا هذا، اخترنا ترجمة نصين للكاتبة الفرنسية جوليا كريستيفا التي خاضت هذه التجربة من وجه جديد، من خلال تركيزها على الجانب النفسي لما يحمله من أهمية في بناء الذات، لأنّ ما يحمله خطابها هو نداء جاء حول تنوير الإنسانية.

كما أنها سعت في عرضها لموضوع أزمة الثقافة إلى طرح قضية الغير في علاقتها بالأنا، علاوة على ذلك أقحمت الجانب النفساني باعتبارها محلّلة نفسية بامتياز، حيث ترى أن وحدة المجتمعات مجرد وهم وسراب، وأن المجتمعات تعيش غربتها قبل أن ينزل بها الغرباء. ويعني هذا أن الغربة تسكن ذواتنا ونفوسنا قبل أن نتعرف على الغرباء والأجانب. وبالتالي، فعلينا ألا نسقط مشاكلنا وهمومنا على الأغيار والغرباء والآخرين، وننسى نفوسنا المنطوية الغريبة وتصرفاتنا الشاذة.

وعليه، فليس الغريب، الذي هو اسم مستعار للحقد وللآخر، (هو ذلك الدخيل المسؤول عن شرور المدينة كلها... ولا ذلك العدو الذي يتعين القضاء عليه لإعادة السلم إلى الجماعة. إن الغريب يسكننا على نحو غريب. إنه القوة الخفية لهويتنا، والفضاء الذي ينسف بيتنا، والزمان الذي يتبدد فيه وفاقنا وتعاطفنا. ونحن إذ نتعرف على الغريب فينا نوفر على أنفسنا أن نبغضه في ذاته. إن الغريب، بوصفه عرضا دالا يجعل الـ (نحن) إشكاليا وربما مستحيلا، يبدأ عندما ينشأ لدي الوعي باختلافي، وينتهي عندما نتعرف على أنفسنا جميعا على أننا غرباء متمردون عن الروابط والجماعات.)[1]

والدعوة لإقصاء تغريب الذات هي ضرورة لمدّ التواصل بين الذات والآخر من أجل خلق تفاهم أفضل وحياة إجتماعية أحسن؛ وأقل بؤسا مثلما دعى إلى ذلك كارل بوبر في انفتاح المجتمعات، أو في قضية التكامل الثقافي الذي يشتغل عليه يشتغل كلود ليفي شتروس C.L. Strauss لذا، فهو يرى أن مستقبل العلاقات بين المجتمعات الفردية والبشرية والثقافية فيما بينها ينبغي ألا يقوم على مسخ حضارة الآخر وتغريبها وطمسها ومحاربتها وعولمتها والقضاء عليها، بل لابد للشعوب من الحفاظ على ثقافتها واستقلالها وهويتها مع المساهمة ضمن الكل

1 Krestiva, Etrangers à nous-mêmes, Fayard, 1988, p. 7.

الثقافي والحضاري. أي لابد من تحقيق: التكامل الثقافي بدلا من إذابة ثقافة الآخر داخل ثقافة الأنا. إذيدعو في كتابه (الأنتروبولوجية البنيوية) إلى الاحتكام إلى مبدأ تكامل الثقافات قائلا: (إن الإسهام الحقيقي للثقافات لا يكمن في قائمة اختراعاتها، بل في الفارق المميز الذي تكشف عنه فيما بينها. إن الشعور بالعرفان والتواضع الذي يستطيع كل عضو من أعضاء ثقافة معينة، بل يجب عليه، أن يستشعره نحو جميع الثقافات الأخرى، لا يمكن أن يتأسس إلاَّ على الاقتناع التالي: إن الثقافات الأخرى مختلفة عن ثقافته، اختلافا تتنوع أشكاله أشد ما يكون التنوع، وذلك حتى وإن كان لا يدرك طبيعة هذا الاختلاف.)[1]

هذا التكامل الثقافي المتبادل الذي نادت به جوليا في خطابها هذا من خلال عرض نموذج لمحاور التبادل الثقافي بين التجربة الصينية والأوروبية، وكان عرضها من خلال انفتاحها على الفكر الفلسفي والمنطقي وعلى علم الاجتماع والتحليل النفسي والبحث اللساني... الخ، هذا ما جعل من عرضها أكثر تميزاً في الطرح والتحليل.

## النص الأصلي[2]:

### I

تتأكّد الأزمة الرابعة، الأزمة الميتافيزيقية، الفلسفية الوجودية نتيجة الأزمات المالية، الاقتصادية والاجتماعية؛ إذ يدعو المنشور الدوري للبابا l'encyclique papale إلى "تركيبة انسانية جديدة"؛ حيث يفرض الوضوح نفسه: في البحث عن اللاموجود ذلك "النموذج الآخر"، الذي لا يمكن فصله عن إعادة تأهيل التجربة الثقافية ومكانتها في حياة كل فرد، كما هو الحال في التحالف الجماعي.

لقد استجاب الفلاسفة لدعوة وسائل الإعلام الذين لم يبخلوا بالانشغال حول المسألة، فاقترح البعض إعادة التفكير في أوضاع البشر على مستوى النظام البيئي écosystéme، من أجل تحفيز الرغبة في التغيير من خلال تغيير حياقم إلى "تغيير الحياة" (مجموع الفعل من التحليل النفسي العام؟)، ويحلم آخرون بإعادة

---

1 C.L.Strauss, Anthropologie structurale, 2, Plon, 1973, p. 413-417.

2 http://www.kristeva.fr/rehabiliter-la-culture.html

خلق "الأخوّة fraternité" (كما لو أنها لم تنـهر في معسـكرات العمـلgoulag والمحرقةshoah!) أوالنظر في إعادة خلق الإنسان نفسه، وأخـيرا الـتخلّص مـن الديمقراطية، التحرّر والسياسة، من أجل التوفيق مع علم الباطن(صوفية) أو علـم الجمال، الكثير من الأدلة، أي إذا كانت هناك حاجة، علـى أن بومـة الفلسـفة la chouete de la philosophie قد تفادت المعركة واستيقظت في نهاية الليل، في وقت متأخر جدا على حدّ رأيي.

بعد الحربين العالميتين وبعض الحروب الباردة، أمام شـبح يطـارد صـراع الأديـان، تبـدأ الألفيـة الثالثـة الـتي تبـدو مـن بـين مسـاعي النظـام الاقتصاديdirigisme[1] الناعم، الذي يعتقد أنّه قادر على الحـد مـن الصـراعات والخلافات. ما تسميه السياسة "الاقتصاد المسؤول" الذي يعمل مثلا على تهـذيب الليبرالية، ولكن هو رفض الأكثر هشاشة في تمرد ميئوس منه، وقمعه في الوجـود النفسي السيء لأولئك الذين لا يتكيفون مع الجمهور.

إنّ أوبامية"obamanisation أوروبا" هي عملية من حساب واحد: فهل يمكن أن نرى هناك مقاربة بين القارة القديمة، والولايات المتحدة الأمريكيـة، أو تحييـد الاتحاد الأوروبـي في "أحادية ضعيفة unilatéralisme mou"، والذي سـيقرع ناقوس"الحكم متعدد الأقطاب"؟ وفي أوروبا ذاتها نجد "الافتتاح" الذي كان من قبل (الرئيس رومني) omnipresident ساركوزي، وبراغماتية المستشارة ميركل مـن جهة اخرى، ألتي يمكن "لتأمينيتهماsécuritarisme" المشتركة في الآخـر، ابـتلاع الديمقراطية الاجتماعية من اليمين المتطرف، إذ كانت الميتيرونية[2] mitterrandisme قوضت بالفعل هضم اتحاد اليسار، وذلك من خلال استغلال الجبهة الوطنية؟

في هذا السياق، فإنّه هناك فلسفة سياسية جديدة مخترعة: إذ إنّـه لا يمكـن الاكتفاء بتخفيف أو تأجيج التعاون بـين الحـزبين bipartisme والانشـقاقات الاجتماعية، التي اتسمت بها النماذج السياسية منذ هوبز ولوك، إلى غايـة بدايـة

1 dirigisme: هو نظام في الحكومة التي تمارس سلطة التوجيه أو القرار علـى الاقتصـاد والمجتمع، من أجل التنظيم وفقا لأغراض معينة.

2 mitterrandisme: هو تيار أوحزب سياسـي نسـبة لأنصـار "فرونسـوا ميـتيرو François Mitterrand".

الألفية الثالثة. دون التشكيك في السياسة لأنّها ستكون غير مؤهّلة للأسئلة الحاسمة، دون الاقتصار على استبعادها: فالعمل السياسي يحتاج إلى رئتين قادرتين على ضخ نفس (حياة) جديدة، وتحت ضغط من قوانين الطبيعة، مع تجارب فريدة من نوعها، تحتاج إلى الاعتقاد والرغبة في المعرفة؛ حيث إنّ علم البيئة، الصحة، المواطنة، والحدود المعيشة، ونقاط الضعف، التي لا يمكن التغلب عليها، ووفرة أشكال التعابير الثقافي: بين السلطتين التشريعية والتنفيذية، يكون الفضاء السياسي قد تمّ تعديله، من أجل ضرورات الحياة هذه في كلية تعقيدها، ومهّدت الآن عالميا لتقدم الديمقراطية، التي يمكن مساءلتها، والحفاظ عليها وتطويرها.

إنّ تحمّل مهمة تهدف إلى بناء المجتمع في سبيل حياة أفضل، وإلى الرعاية الاجتماعية الجيّدة، حيث إنّ اللجنة الاقتصادية الاجتماعية والبيئية (EESC) لا تقلل من أهدافها المحددة فقط مع المنطق الاجتماعي المحدّد، فإنّها تدعو إلى مكان الواجهة بين "صانع القرار" و"المواطن" والنظر بين "الاجتماعي" و"الانساني"، وتمدّها خطوة على الفلسفة السياسة، ومع ذلك فليست غريبة، إذ إنها تجعل من مختبر الفلسفة السياسية يقترب اكثر.

لأنّهم يأخذون بعين الاعتبار المآزق والابتكارات الراهنة، كما أنّ الإعلانات والتقارير المقدّمة من قبل اللّجنة الاقتصادية والاجتماعية(CESE) لا تكتفي بالإدارات التقنية أو التوصيات البرنامجية. وعلى الأكثر من أي وقت مضى، يجب أن تستخدم التحليل الذي يؤثر على قلب التحوّل من السند الاجتماعي. لكن هل إحياء هذا المنتدى الاجتماعي الاستثنائي يمكن له أن يصبح ترياقا antidote للثورات اليائسة، لأنه من دون بديل ثوري، مثل تلك التي تهدد بعنف اليوم؟

من هذا المنظور، فإن العمل الثقافي الخارجي لفرنسا هو العنصر الرئيسي الذي يلتمس رابطا دوليا جديدا، حيث أودُّ أن أحدده على النحو التالي: كيف يمكن أن نجعل الإنسانية العالمية في التعددية الثقافية مفدرلة (فدرالية) (حيث إنّ اتفاقية اليونسكو المبرمة عام 2005، قد استهلّت الحق الثقافي الدولي واستوحته). فالبعض على وعي بهذا الأفق، البارز من الأوهام القديمة والتكهن بشأن "الشيوعية الجديدة"، التي تأتي بعد الأزمة. لكنّني أفضل مصطلح الإنسانية نحو إعادة تأسيسه: بشرط إخراج الإنسانية المجردة من معناها الموحّد والمستهان، وتراجعه من الفردية

إلى التنوع القابل للمشاركة: هذا التنوع يقاسمه كل من الرجل والمرأة، متعدّد اللسانية وقابل ترجمته من اللغات، كذلك التجارب اللغوية التي نسميها الفنون، تتضمن، إذن، هذا التنوع القابل للترجمةtraductible وذلك من قبل تقرير المخبرين والمؤسسات الثقافية، ناهيك عن وسائل الإعلام التي لا غنى عنها الآن، والتكنولوجيات الجديدة، وما إلى ذلك.

هل فرنسا هي في وضع جيد من أجل أن تتكفّل بهذه الرسالة؟ على الرغم من أنّ الوزير الجديد للثقافة يبدو أكثر اهتماما بالرؤية غير المحتملة في "استعارة الوطنية"، حيث إنّ صحيفة نيويورك تايمز في حد ذاتها -ذات مرة لم تكن ضمن العرف! هنّأت الفرنسيين بالاستثمار في الثقافة في أوقات الأزمة.

ثلاثة ميادين ممكنة:

1. البلدان التي تنضم إلى المنظمة الدولية للفرانكوفونيةOIF يمكن التعرف عليها في الرسالة الثقافية الفرنسية بالقيام بتولي أمر إخصاب الخصوصيات فضلا عمّا لديهم.
2. إنّ اللغة في كل النماذج التي ذكرتها-مختبر فكر الخيال والمعارف- هي الأكثر قدرة على مضادات الاكتئابantidépresseurs الثقافية، إضافة إلى التحفيزات من قبل الترجمة.
3. يمكن فقط للقيادة التطوعية والإندفاعيةoffensif أن توضّح الرسالة الثقافية الفرنسية، من خلال تأمين فعال لما بين الوزارات interministerielle وتكييفها مع مختلف أنحاء العالم.

إنّ مواجهة الغموض في سياستنا الثقافية المحلية والأجنبية، بعضها يتغلّب على زوج من ما بعد الاستعمار والعولمة من أجل تكريس فرنسا في التراجع، في حين أن آخرين يمجدون برجاء تفشي النزعة القومية، بالعكس من ذلك، فإن رأي اللجنة الاقتصادية والاجتماعية الأوروبية (CESE)حول "الرسالة الثقافية لفرنسا والتبادل الثقافي للفرنكوفونية" إذ تحاول الاقتناع مرة واحدة بالسلطة التنفيذية والرؤية التي يوجد فيها الرسالة الثقافية الفرنسية، التي يمكن أن تعزّز الإنسانية من التفاعل الثقافي أعلاه. إذا وفقط إذا نحن قادرون ليس فقط على تحليل نقدي لهذه الرسالة، ولكن لحشد خبرته من أجل تعزيز التعددية الثقافية. فإنّ هذا المنظور ليس له أي علاقة تجاور مع المجتمعات التي تحثّ على مواجهة الخلاف أو استيعابه على صعيد

العولمة "Globish". إذ يتعلق الأمر بالمشاركات والتخصيب المتبادل بين الفرديات المختلفة، ومع ذلك مترجمة.

إنّ التجربة الفرنسية في اللغة، وتاريخ الفرونكوفونية ووجهها الجديد اليوم، الذي يضيف الوعود والتحديات التي تواجه الدعوة الأوروبية إلى تعدد اللغات من خلال استدعاء الترجمة، التي تسمح لنا أن ندرك هذا التماسك، كيف أنّ هذه الرسالة الثقافية الفرنسية مميزة. وكيف أنّها تمثّل إغراءً يكون مؤسسا من أجل الحصول على حكومة متعددة الأقطاب، ضد هذا المد السطيحي الإصدارات الجديدة السياسة والإنسانية. كما هو الرهان الاستراتيجي الذي يتطلب نبض من أعلى مستويات الدولة.

## II[1]

## خطاب جوليا كريستيفا

## أوروبا/الصين: محاور التبادل[2]

أشكر بحرارة منظميّ هذا المنتدى المرموق لدعوقم لي، وأنا مدينة لكم على اعتراف: لي أربع سنوات جامعية من الصين، فهي بالتأكيد لا تجعل مني صينية sinologue (أنا إذن لست "متخصصة") وبالإضافة إلى ذلك، أنفي كفاءة أبرز الجهات الفاعلة في مجال الدبلوماسية الثقافية أو الاقتصادية المتواجدة في هذه القاعة. هذه السيميائية، الفيلسوفة، المحللة النفساني، والمرأة التي تتحدث إليكم، تقترح معالجة موضوع هذا المنتدى على طريقتين:

في أيّ راهن-واقع-actualité وفي أيّ فلسفة سياسية يمكن أن نسجّل هذه الجلسة؛

- وعل أيّ محاور ثقافية وسياسية يمكن لهذه الجلسة أن يكون لها معنى اليوم من أجل الشريكين، أوروبا والصين؟

اسمحوا لي أن ألفت انتباهكم هنا إنّ جعل ما بين الثقافات مفدرلة-فدرالية- لا يعني القول: عرض الثقافات جنبا إلى جنب، إذ في هذا النوع من "معرض

1 .http://www.kristeva.fr/europe-china.html

2 خطاب قدّمته في المنتدى الثقافي الرفيع بين الصين وأوروبا في بروكسل 6-7 أكتوبر 2010.

التنوع" الذي هو حكم الثقافة الذي يفهم على أنّه مشهد معمّم، حيث إنّ الثقافة هي "في متناول اليد" (في الأنترنت أو المعرض العالمى فى شانغهاى) ولكنها لا تُفهم من قبل كثير من الناس، لأنهم لا يمثلون بعضهم البعض: حيث لا يسعون للتحليل، ولا محاولة بناء الجسور بينهما، ولا يسائلون بعمق في الحياة النفسية لهذا الرجل، أو هذه المرأة هنا. وبالتالي قد تخاطر الثقافات بالاستهانة بفضل تراكمها على بعضها البعض في التسامح "الصحيح سياسيا politically correct" حيث تُضيِّع كل حضارة ميزة مد الجسور فيما بينها. وفي رعاية: سطحية التنويعات نستنتج أنّها بصدّد أن تصبح "الشر الجذري" الجديد. وأكثر مكرا من "صراع الأديان"، إذ من الصعب التراجع لأنه يقلل من التفكير في "المنتجات" السوق، فهي تسهّل الأتمتة l'automatisation الجارية للجنس البشري.

وفي هذه النقطة بالتحديد يكوِّن لقائنا الثقافي هذا "أوروبا/الصين" معناه. لماذا؟

أولا، لأنها في مجمّع قارة الثقافة الأوروبية التي (بالمناسبة) نحن لسنا فخورين بما فيه الكفاية، - التي يمكن أن تطوّر عملية مساءلة "ثقافة المشهد culture spectacle"، و"الإحياء الثقافي animation culturelle"، و"ثقافة-معرض التنوعات" التي تميل إلى التقليل من شأن واقع الثقافة نفسها.

ثانيا والأهم، إن الصين وأوروبا في حاجة لتأكيد استقلاليتهما السياسية والاقتصادية، من خلال دعم الخاصية المميزة لثقافتهم: فك تعقيد décomplexer تراثها الحضاري من خلال تحليل معمّق لذاكرتهم الثقافية "transvalulation عكس القيم المقبولة" (نيتشه).

## - الأديان، النساء، واللغات:

كانت رحلتي الأولى إلى الصين عام 1974، مع مجموعة تل كيل Tel quel بقيادة فيليب Sollers وخاصة بمشاركة رولان بارت، وأعتقد انه كان أول وفد فكري، بعد انضمام جمهورية الصين الشعبية إلى الأمم المتحدة ONU. بعيدا عن الولاء الذي لا يشترط الأيديولوجية الفاعلة، ولكن الافتتان بعمق الحضارة الصينية، وقد كنت فضولية في أن أجد جوابا للسؤالين (على الأقل!) اللذين سأصيغهما على النحو الآتي، إذ يبدوان لي دائما أنّهما من الراهن:

1. إذا كانت الشيوعية الصينية تختلف عن الشيوعية والاشتراكية الغربية، فكيف يمكن للتقاليد الثقافية والتاريخ الوطني أن يسهما في تشكيل اللغز الصيني"؟
2. المفاهيم التقليدية الصينية في مبدأ العلة causalité، والألوهية divinité، المؤنث والمذكر، اللغة والكتابة، ألا تساهم في تشكيل الذاتية الإنسانية الخاصة، مختلفة عن تلك التي تشكلت في التراث اليوناني اليهودية والمسيحية؟ وإذا كان الأمر كذلك، كيف يمكن لهذه التجارب الذاتية أن تلتقي، تتعارض أو تتعايش مع غيرها من ممثليّ إنسانيتنا العالمية، وليس أقلها اختلافا؟

أنّي أتمسّك بهذه الأسئلة الضرورية، التي يجعلها الراهن أكثر إلحاحا من أي وقت مضى: إنّ إلتقاء الحضارات (وتلاحظون أنّي لا أقول "التصادم heurt" ولكن "اللقاء rencontre")، المختلفة، أصبح أمراً ممكنا، الآن، بفضل العولمة. فهل ان هذا اللقاء حامل لمخاطر كبرى؟ أو على العكس من ذلك، ليس إلاّ حافزا للتحولات المفيدة بفضل الاقتراض المتبادل ومبدأ التعامل الخارق réciprocités inouïes؟

نستأنف بسرعة تخطيطية بعض عناصر هذا "الفكر الصيني" -(لاستعادة عنوان العمل الشهير للباحث الفرنسي الكبير Marcel Granet)، الذي أفضّل أن أسميه بالنسبة لي "التجربة الصينية"، كما رسمتها من خلال الملامح الواسعة للمرأة الصينية (الكتاب الذي نشرته عام 1975 والذي ستتم ترجمته في شنغهاي *Chinoises* حيث أنا فيها)- ثلاثة اختلافات بين الحضارة الصينية والأوروبية: بأساسها اليوناني واليهودي والمسيحي: -الديني والانهماك المتعالي في التجربة الصينية-، وعلاقة الرجل-المرأة، التي تحتل مكانة اللغة في بناء الشخص.

وعندما سأل الأب Longobardi ما يسميه "الديانة الصينية" (بحث، 1701)، فإنه قد اعتبر أنّ الصينيين لا يعرفون "إلهنا notre Dieu" (نعني بذلك الله في الكاثوليك: الآب والابن الروح القدس)، وذلك لإنّ الإمبراطور السماوي شانغ دى Shang-di ليس إلاّ سمة مميّزة، نوعية أو ظاهرة من[1] 理 LI: كيفية التدليل

1 هو مفهوم وجد في الفلسفة الكونفوشيوسية الصينية الجديدة، حيث يشير إلى أن السبب الكامن في نظام الطبيعة كما هو مبين في أشكاله العضوية.
كما يمكن أن يترجم على أنه مبدأ عقلاني أو قانون. أنظر (http://en.wikipedia.org/wiki/Li_(Neo-Confucianism

بطريقة محايثة "للعملية"، "الأمر"، "القواعد"، "الفعل" و"الحكومة"، وهـذا يعـني "السببية".

إنّه لا ينفصل عن عالم اليسوع؛ حيث إنّ هذا النوع مـن القـانون- LI - يمكن أن يؤدي إلى إلحاد العلماء الذين يشاركون فيه، على الرغم مـن اخـتلاف "الأرواح" و"الآلهة" المتعلقة بها والموجّهة فقط نوع واحد من الدين للناس وتحدّ من دور أوصياء النظام الاجتماعي.

وعلاوة على ذلك، فإنّ هذه العلاقة السببية المحايثة للطريقة التي يفترض بها LI الانقسام الجذري dichotomie radicale لثنائية الالفاظ التالية (فـارغ/كامـل، الحياة/الموت، السماء/الأرض، الخ.)، حيث يضمن التناسـق harmonie، دون أن نتمكّن على الأقل الوحدة بين العنصرين، اللذان يبقيان منفصلين في اندماجيتـهما نفسها. وتنبثق المشكلة عندئذ: دون وحدة، ما الحقيقة التي يمكن أن تحدث؟ هـل يمكن لهذا النوع من" السببية" أن يكشف عن الحقيقة؟

بالعكس فقد طوّر لايبنتز Leibnitz (1646-1716) تصورا آخر هذه العلاقة السببية المحايثة للعقلانية المبتكرة. حيث كان LI في رأيه، "ماهية خفيـة ملازمـة للإدراك": "إنّهم (الصينيون) يقولون الحقيقة في الخالقين"، "لأنّه ربما هذه الحيـاة، المعرفة، والسلطة في الصين، اتخذت من[1] "anthropopatos" ("الله" الذي تنسب إليه الصفات الإنسانية).

هل كان لايبنتز منظّرا للنـزعة الإنسانية في الصين؟ هل تظـل "الحقيقـة" و"الإنسانية"، ذات الخصائص الصينية، لغزا مستعصيا حتى الآن؟ والعقل المحـض، البعيدا عن كونه ديكارتيا cartésienne، أكد لايبنتز -من قبل- على ما يبدو اليوم بمثابة خصوصية التجربة الصينية: ما هـو مـادي ملمـوس concrétude، مـن الانشغالات المتواصلة لمنطق المعيشي والاجتماعي، لا يمكن تمييزها من الانشـغال الوجودي الذات. سيكون هناك "الأنا" الذي لا ينفصل عـن التوابـع الكونيـة والسياسية: "الذات" التي لا تكون "فردا"، ولكن نقطة التأثير التي تقـوم بتحـيين التوافق اللانهائي بين القوى والمنطق.

1 anthropopatos: العقيدة التي تعيّن الصفات البشرية في الله.

نحن هنا في صميم القضايا التي تواجه الانسانية والديمقراطية، في الاتصال مع الصين.

هل هذه التجربة أو الفكر الصيني سيكون متمردا في جوهره على مفهوم الفردانية الحرة وقابلية الحقيقة، التي تزهر في التاريخ المعقد للمؤمنين باليونانية/اليهودي/المسيحي، بما في ذلك المسلم؟ ألا يفشل التاريخ الصيني في تأكيد هذه المخاوف. بالرغم من أنها ليست نفس"أنطولوجيا الذات التي لا تنفصل عن منطق المعيشي والاجتماعي"، التي تحدّد الفرد وفقا للتجربة الصينية، والتي تبدو من المحتمل أيضا أنّها تؤوي "حقوق إنسان" من نوع آخر: في الانسجام الكبير مع قوانين الكون والصراع الاجتماعي؟ بشرط أن تكشف تعقيد الرغبات والأفعال الدالة التي تشكل العمق الداخلي "للذات" الصينية بخصوصيتها مقارنة مع الذات الأوروبية، المفتحة دوما على الرغبات والأفعال الدالة في محيطه الطبيعي والاجتماعي؟

لا يمكن "لألغاز" التجربة الصينية أن تتوقف إلاّ إذا أصبح الخطاب التأويلي قادرا على معالجة قارتين تجاوزتا الميتافيزيقا الغربية. أودّ الحديث عن الدور المحدد للمرأة والأم، من جهة، والانتماء الذي لا يتجزأ من معنى اللغة إلى الموسيقى (لغة النغم) والإيماءات (الجسم)، ومن جهة أخرى، وبعبارة أخرى، إذا كانت الميتافيزيقا الغربية جزاء الفرد الصيني، فانما يكون ذلك بسبب عدم وجود "الفرد"، ولكن التكامل بين الرجل/المرأة في كل كيان، وأنّ حقيقة المعنى أو اللغة ليست أبدا منفصلة عن الجسد الجنسي corps sexué.

فإن الهيمنة الطويلة للأصل الصيني من حيث النسب للأم matrilinéaire أو السكن مع والدي الزوجة matrilocale[1] تفرض على الرجل والمرأة الصينية يقين الازدواج النفسي-الجنسي الخاص بهما (على قدم المساواة في أهمية الاعتماد وجها لوجه للأم والأب)، وقولنا" الازدواج الجنسي bisexualité النفسي" له، وهذا يكون بقوة أكثر من فعل الثقافات الأخرى، وخاصة الغرب المسيحي الذي يسيطر عليها نموذج النسب الأبوي patrilinéaire. على الرغم من أنّ الأثر الدال بين

1 مصطلح يصف إقامة الزوجين، حيث يأتي الزوج للإقامة مع والدي زوجته matrilocale.

الكل الذي يجمع بين يان Yin ويانغ Yang[1] في كلا الجنسين في كلا الجانبين من الفرق الجنسي، هذا التعايش الداخلي لا يمحو الفرق الخارجي بين الرجل والمرأة. على العكس من ذلك فإنّه يفضل الزوج الإنجابي في حين يمنح الإناث المكانة المركزية للمتعة و"ماهية Yin" غير القابلة للانتهاك.

أما بالنسبة للّغة النغمية، التي تمنح معنى للترنيمات الصوتية intonations للمنحى النحوي، فإنها تحافظ على البصمة المميزة لصلة الأم/الطفل في الاتفاق الاجتماعي بامتياز الذي هو التواصل الشفهي (لأن كل صبي انساني يكتسب النغم قبل النحو ولكن الطفل الصيني يدعم هذه الآثار النغمية النموذجية بالمعنى الاجتماعي). فاللغة الصينية تحتفظ، وبفضل هذه النغمات، بسجل قبل نحوي pré syntaxique؛ وقبل رمزي pre symbolique (العلامة والبناء النحوي المتزامنين concomitant)، ماقبل عقدة أوديب pré oedipien (على الرغم من أن النظام النغمي tonal لا يتحقّق إلاّ في تركيب الجملة الكامل syntaxe). فالكتابة ذاتها، مصوّرة في الأصل، ثم أكثر فأكثر منمقة stylisée، مجردة، مؤدلجة نحويا idéogrammatique، فإنّها تحافظ على ميزتها التحفيزية évocatif، والبصرية والإيمائية (ذاكرة الحركة سببية، بالإضافة إلى ذاكرة المعنى للكتابة بالصينية). هذه المكونات من ضمن الطبقات النفسية النموذجية من تلك التي لها معنى تركيبي نحوي منطقي، إذ يمكن اعتبار الكتابة الصينية الحسيّة موضعا للاوعي، حيث لن ينفصل موضوع التفكير بالصينية نهائيا وهذا هو المختبر النهائي لمشاريعها التطورية، الابتكارية وإحيائها بامتياز.

إذا كنت أركّز على هذه الاستذكارات الأساسية والتخطيطية إلى حد ما، فإنه لا يعني اقتراح تسلسل للقيم بين الحضارات. لأنه من الممكن تحديد الفوائد باعتبارها حدود كل نماذج البنية النفسية التي قمت بتخطيطها.

ولكن أعتقد أنّه من الضروري الإصرار على هذه النقطة: تحت ضغط من التكنولوجيات الإنتاجية والتوليدية، وجموحها الافتراضي، إذ إنّ تعقيد النموذج

1 Yan et Yang: في الفلسفة الصينية هما صنفين متكاملين، حيث يمكن أن نجدهما في مختلف مظاهر الحياة والكون، فإنّ مفهوم التكامل هذا هو خاص بالفكر الشرقي، الذي يعتقد بسهولة أكثر شكل إزدواجية التكامل.

الصيني ينطوي على خطر تثبيت الأتمتة، واندماج ميكانيكي يتكيّف زورا بـِ "الأنماط patterns" وفق المألوف، و لم يكن يعلم هذا القلق من فكرة أن الفلسفة اليونانية وإعادة تركيبتها المسيحية اليهودية قد كتبت في الباطنية النفسية التي تتطلّب متحدثا أوروبيا. أما بالنسبة للنموذج اليوناني اليهودي المسيحي في شكله العلماني، فهو مثل النموذج الكوني للعولمة، ونحن نعرف جيدا أن الكثير من مخاطر الأنانية، والتأثير النفسي-الجنسي psycho-sexuelle، وفقدان "القيم" والنتائج الاقتصادية والمالية والاجتماعية التي يرثى لها، ويصعب تنظيمها ذاتيا.

لم يكن المجتمع أبدا خاصا بالمستقبل، و لم يكن الإنسان عاجزا عن التفكير. على الرغم من أنّ معاهد الكونفوشيوس Confuciusمتوفرة بكثرة في فرنسا وفي جميع أنحاء العالم، في حين أن بعضها في أوروبا، لا تزال قائمة في اعتقادنا بأننا نستطيع التوصل إلى تفاهم متبادل.

إنّ الصينيين ينتقلون إلى أوروبا، وذلك لأن ثراء النفس الأوروبي مدهش من قبل أساطيره وقدراته على تهذيب فنون العيش والتفكير، وكذلك من خلال تجاربه الجمالية والاجتماعية...

كما أنّ الفرنسيين والأوروبيين من جانبهم، وأيا كانت أعباؤهم، أخطاؤهم وعثراتهم، يأخذون على محمل الجد لغز التجربة الصينية للعمل على فكّه.

**- محاورنا للتبادل:**

ومن أجل تجاوز النشاط الثقافي الذي فشل في ما أسميه "معرض التنوع"، الذي يبدو لي أنه نسخة جديدة من تفاهة الشر، وهنا بعض الاقتراحات لموقع اللقاءات الثقافية بين أوروبا/الصين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وذلك بمشاركة الباحثين الأوروبيين والصينيين، من أجل تحديد وتعميق طرق التبادل بين الثقافات المتنوعة لدينا، كما تفرضها علينا ذاكرة الحضارتين والأحداث الدولية الراهنة:

1. ما الهوية الوطنية والثقافية؟ دعونا نبدأ من أوروبا عن طريق إنشاء مدرسة للثقافات الأوروبية، التي من شأنها أن تقدّم اللقاء بالآخرين، ودعوتهم لاستجواب أنفسهم وانتقالهم الممكن إلى اتصالات أخرى. بالرغم من قوتها ومستواها العالي، في الصين وأماكن أخرى، فالأفكار الرئيسة تمنح لنا التنوير،

وأنّه لدينا الكثير من المتاعب لوضعها اليوم موضع التطبيق، ولكن لهــا كــرم générosité وانفتاح مثالي واعد.

في الواقع، إنّ الثقافة الأوروبية، التي كانت مهدا للبحث عن الهوية، لم تتوقف عن كشف العبث من إمكانية التجاوز، بالرغم من اللانهائيــة. وهــذا هــو التناقض: توجد هناك هوية، هويتي، هويتنا، لكنها بلا حدود قابلة للإنشــاء واعادة البناء déconstructible منفتحة وقابلة للتطوير - الــذي يمــنح لهــا هشاشة مفاجئة ودقة قوية في المشروع الأوروبــي بمجمله، وفي المصير الثقافي الأوروبــي على وجه الخصوص. في مقابل التقديس الحديث للهويــة فــإنّ الثقافة الأوروبية تسعى لفتح هوية قابلة لإعادة البناء دون نهاية، مفتوحة.

هنا في أوروبا، الهوية ليست عبادة، ولكنّها سؤال: بــالرغم مــن أنّ هــذا التساؤل أمام شركائنا الصينيين، من أجل تحليل أفضل للمتطلبات الأخلاقيــة والقومية داخل القارة الصينية نفسها، بين الشــعوب والبلــدان في نطــاق جغرافي وفي العولمة نفسها. إنّ الوطن والحرية يخضعان للتحليــل في التجربــة الأوروبية، بالنظر إلى إعادة تنظيم لم يسبق له مثيل. فهل نحن قادرون علــى هذه التطورات إلى حد تشهيرها خارج حدود أوروبا؟ إلى الصين؟

إنّ التنوع اللغوي الأوروبــي هو بصدد خلق أفــراد مشــكاليين/متلوّنــون kaléidoscopiques قادرون على التحدي ليس فقط بازدواجية اللغــة بــل وعالمية الإنجليزية التي تفرضها العولمة، وهي من الأنواع الجديدة الــتي تــبرز تدريجيا: الموضوع متعدّد الأصوات polyphonique، ومواطن متعدد اللغات لأوروبا متعدّدة الجنسيات.

هل الفرد الأوروبــي سيصبح ذاتا فردية لحياة نفسية psychisme جماعية جوهريا بثلاث لغات، أربع لغات، متعدد اللغات؟ أو تنخفض إلى العالمية Globish؟

في هذا الأفق، يمكن أن نطرح سؤال اللغات الإقليمية في الصــين نفســها، ومايتعلق بمكانة اللغات الأجنبية بالنظر إلى تعدد اللغات في التعليم بالصــين، مقابل هيمنة العالمية "Globish".

الأمة، واقعها وتقديسها، هي نتاج التاريخ الأوروبــي الذي ورثناه،... وقد أدى الرعب النازي إلى إدانتها، ونحن ندرك، مع ذلك، تجاهل الهوية الوطنية،

وتعريض الناس لاكتئاب وطني حقيقي، الذي يؤدي إلى حركـات عكسـية للتوتر القومي. إنّ الاعتراف، وإعادة التفكير بعمق التراث الثقـافي للأمـة، وقدراته الجمالية، فضلا عن التقنية والعلمية: ضرورة ليست كافية لتحديـد القيمة، خصوصا من قبل المثقفين الذين هم في تسامٍ دائم على الشك، ودفـع المذهب الديكارتي إلى غاية كراهية الذات.

إنّ العالمية التي يساء فهمها والخطيئة الاستعمارية التي كان يمارسها الكثير من ممثليّ السياسية والأيديولوجية، وأحيانا على ارتكابها تحت سـتار الكونيـة السياسية، "غير محسوس وفظ" (Giraudoux[1]) في احترام الأمة، الذي يساهم في تفاقم الاكتئاب الوطني. كما أن لقاءات الاتحاد الأوروبـي/الصين تساهم في تسليط الضوء على أهمية مناهضة الاكتئاب الذي تنتجه الهويـة الوطنيـة، بحيث تخلق فضاءاً جديداً ينفتح على الأمم بروح حكومة متعددة الأقطـاب (الشعوب) multipolaire.

2. إنّ سقوط جدار برلين عام 1989 جعلت الفرق بين نموذجين مـن الثقافـة: الثقافة الأوروبية والثقافة أمريكا الشمالية أكثر وضوحا. إذ أحدّد منذ البداية، لتجنب سوء الفهم، أنّ الأمر يتعلق بمفهومي للحرية من مجموع الديمقراطيات ودون استثناء، إذ لديها امتياز لتكون قابلة للإعداد والتطبيق. مختلفة ولكنـها متكاملة، هذا المفهوم حول الحرية، في وجهة نظري، هي موجودة أيضـا في المبادئ والمؤسسات الدولية، سواء في أوروبا أو عبر الأطلسي.

لقد قام كانط، في نقد العقل الخالص (1781) ونقد العقل العملـي (1789) بتحديد، ولاول مرة على الإطلاق، ما اختبره الآخرون على الأرجـح، دون التوصل إلى وضوحه في الوعي: وهو معرفة أنّ الحرية ليست "غيابا مكرهـا absence de contrainte" سلبيا، ولكنّها بالإيجاب إمكانية البدايـة الذاتيـة "self-beginning" "Selbstanfang" ومع ذلك فهي مرتبطة بالعلّة: الإلهية أو الأخلاقية.

أستنبط بالقول أنّه في العالم الذي هيمنت عليه التقنية بصورة متزايدة، فـإنّ الحرية تصبح فيه، تدريجيا، بمعنى القدرة على التكيف مع "سبب" خارج دوما

1 أنظر الموقع التالي: http://fr.wikipedia.org/wiki/Jean_Giraudoux

عن "الأنا" عن الشخص، والموضوع، ولكن على الأقل مع السبب الأخلاقي، وعلى نحو متزايد مع السبب الاقتصادي: وفي أفضل الحالات، السببين معا.
وأن تكون حرا يعني ان يمكنك استخراج أفضل النتائج والأرباح في سلسلة الأسباب والنتائج التي تلائم سوق الإنتاج والربح.
هناك نموذج آخر من الحرية، وهو أيضا من أصل أوروبي. إذ يبدو في العالم اليوناني، في قلب الفلسفة، مع ما قبل السقراطيينPresocratics، وقد تطوّر من خلال الحوار السقراطي. وتنتشر هذه الحرية الأساسية في الكائن من خلال الكلام الذي ينتقل، يمنح ويمثل نفسه والآخر، وبهذا المعنى نتحرّر. وقد سلط الضوء هيدجر عليها في مناقشة فلسفة كانط (حلقة دراسية (ملتقى) لعام 1930، منشورة تحت عنوان: جوهر الحرية الإنسانية.) حيث يتعلّق الأمر بتسجيل هذه حرية في الاجتماع المفاجئ مع الآخر autrui في جوهر الفلسفة باعتبارها التساؤل اللانهائي للإنسانية. هذه الرؤية للحرية تميّز فردية تجارب التفكير، و"التمرد" بمعنى Resourcement، إعادة تأسيس، إعادة الوحي révélation؛ وابتكارات الشخص فوق كل اتفاقية أخرى.
إنّ المجتمع الأوروبي يسعى لبناء الاتحاد الأوروبي الذي يطمح الأخذ بعين الاعتبار منطق العولمة، دون أن يقتصر على المذهب الليبرالي من "دعه يمر"، الذي كان يحدّد أحيانا "النموذج الأميركي". هذه الخصوصية مرفوعة من الاعتقاد بأنّه لدينا مفهومين للحرية: الأول، يتكيف مع التطورات التقنية والسوق العالمية، والثاني، يركز على البحث عن الهوية القابلة لإعادة بنينة غير محدّدة، منفتحة وتشجع الفردية، وعلى عكس اليقينيات ومتطلبات الهوية، الاقتصادية أو العلمية.
هذاه الفردية لكل رجل، وكل امرأة في ما له أو لها لا تقدر ولا تحصى، فهي غير القابل للاختزال إلى المجتمع، وبهذا المعنى، من عظمة هذا التفرد، أين يكون البروز والاحترام من بين المكتسبات المدهشة للثقافة الأوروبية؟، إذ إنّها الأساس والوجهة الحميمة لحقوق الإنسان.
هذا هو مشكل موضوع الفردية التي يمكن أن تمتد وتتكيف مع الحقوق السياسية نفسها للفقراء والمعاقين والمسنين، واحترام مختلف الجنسيات

والعرقيات في خصوصياهم المميّزة. فقط يمكن لمشكلة الفردية هذه تجنب "تكتّل" التنوع الذي يحافظ على دور مستهلكيّ "السوق الحرة" (ولكن من سيحرم من ذلك؟).

3. تعميق الحرية الفردية تمرّ من خلال الإغراء الذي تمارسه الأديان والروحانيات على مستهلكيّ العولمة. فمعرفة وتحليل، و"transvaluation عكس القيم المقبولة" للأديان والروحانيات هي أولوية رئيسة بالنسبة لأوروبا والصين. هذه المسألة بدأ اشهارها في الجامعات الصينية (تونغ جى وجياو تونغ في شنغهاي) إذ فتحت معاهد البحوث حول هذه القضايا الصعبة والتي بدورها تحتاج إلى تعاون أوروبي قوي.
4. أخيراً وليس آخراً، تعزيز مكانة المرأة والمؤنث في التقاليد الصينية، والطاوية والكونفوشيوسية من خلال الاشتراكية الصينية والماركسية، ومنح المرأة الصينية دوراً حاسماً في عملية التطوير الجارية في البلاد وتحت تمكين جميع النساء في سياق العولمة

إنّ الجائزة العالمية "سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir في حرية المرأة" التي كان لي شرف في رآستها، قد منحت لاثنين من النساء الصينيات، المحامية والسيدة Mme Guo Jianmei ومصورة الفيديو Ai Xiaoming اللواتي يعملن من أجل أفضل تطبيق لقوانين المرأة المعترف بها من قبل الجمهورية الشعبية الصينية. ما الفرق مع وضع المرأة في أجزاء أخرى من العالم؟ وما الطريق الطويل الذي يتعين القيام به؟

ثقافة الأمومة، ومكانة الطفل، والمساواة السياسية والمهنية في الفكر التكاملي بين الجنسين، هي من الموضوعات الرئيسة التي فيها الكثير لنتعلمه من بعضنا البعض في التجربة الصينية والأوروبية.

اسمحوا لي أن أنهي بلهجة جادة. كما الكثيرين منكم، وأنا كثيرا ما يئست من خراب الآلة الحاسبة للعقول، من خلال الاتمتة والهيمنة التقنيّة على الجنس البشري، باعتبارها النهاية المروّعة للعالمapocalyps الكوني. رحلتي الأخيرة إلى الصين لم تكن خالية من نزعة شكية، على العكس من ذلك. ولكن لا حرب عالمية أو عقيدة جديدة يمكنهما إنقاذنا. يبقى لنا حتى الآن أن نبتكر فلسفة سياسية

تمنح لنا المجال كاملا أمام لقاء ثقافي، على نحو أفضل: والتي تحافظ على خصوصية الجميع؛ حيث أسمع معنى هذا المنتدى أوروبا/الصين المستوحى من ما بين الثقافات Transcultura رهاننا ليس تفاؤلا في مواجهة حالة اليأس، بل ينبغي أن يكون بمستوى هذه المخاطر التي تحدق بنا من كل جانب. وأريد أيضا الارتقاء إلى التمسّك بالثقافتين، حيث يجعلنا الآن قادرين على هذه المخاطر والوعود. وعلى هذين الشرطين فقط، سيكون من الممكن خلق اللقاء الذي أسميه التجربة الصينية، التي تواجه أوروبا مثل العالم الذي يتمسّك بنبضه للحياة.

## خاتمة*:

ما يمكن استدراكه من خطاب جوليا كريستيفا، أنّ دعوتها تكمن في عملية تحيين الممارسات الثقافية على الصعيد السياسي، وذلك من خلال تحفيز أنفسنا على خلق فلسفة سياسية جديدة تكون بمستوى الأساس الثقافي الذي يوطّد العلاقات ما بين الدول، إذ من خلال التبادل الثقافي تزدهر الحضارات وتنمو مسارات الأفكار؛ بحيث أنّ الذاكرة الثقافية بحاجة إلى عملية تخطيطية من أجل إعادة بنينتها والراهن، باعتبار أن الدين واللغة ضمن تصوراتنا الفردية التي يمكن أدلجتها لتواكب رهان الفلسفة السياسية الجديدة التي تطمح لإعادة تأهيل التنوّع الثقافي، إنّه إذن إصرار على مداومة التنوّع والتعدّد من أجل خلق روح الاختلاف الذي يوحّد الذات بقوميتها وهويتها ووطنيتها رغم اختلاف الجنس البشري.

فالسبيل الوحيد لمواجهة مثل تلك التهديدات هو أن نفعل عكس ذلك، أن نؤكّد الدعوة الصريحة في الذكاء، التفكير، الإبداع، الثقافة والبحث، من خلال تدويرها إلى الخطابات والجرأة على ممارستها بكل عقلانية، إذ إنّ ممارسة سبل التفكير يشكّل فاعلية اجتماعية في تكتّل النخب الثقافية، هذه الأخيرة هي مركز تبئير للممارسات الإنسانية التي بواسطتها ترتقي الأمم وتُشيّدُ الحضارات. وحتى رهان التغيير الذي دعت إليه جوليا كريستيفا قائم على تغيير الحياة الفردية بما فيها النفس البشري، لأن نفسية البشر فعالة في الابتكار وخلق أجواء ثقافية قابلة لمجاراة

* من وضع المترجم

سياسة جديدة. وعليه قابلية صناعة حياة مشتركة تسيطر علـــى مصـــالح المجتمـــع ومصائره المستقبلية الممكنة، وعليه تحقيق إمكانية فعّالة في إصلاح النفس والعقل في آن واحد رغم خطر رهان اتمتة (شيئية جديدة للانسان) الإنسان.